«كلمات يسوع الأخيرة»

«وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي.
وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ» (لوقا ٢٣: ٤٦).

تأليف: ادي كلور

عندما صرخ يسوع بكلماته الأخيرة عبر بذلك عن استسلامه الكامل لمشيئة الآب، وتتميمه للواجب الذي كان الله قد أعطاه إياه والادراك بالراحة التي اقترب أن يدخل فيها بعد آلامه الشديدة. بهذه الصلاة أذن لروحه أن تخرج من جسده ليدخل الفردوس ويبقى هناك حتى صباح يوم الأحد، أي الصباح العظيم الذي فيه قام من الأموات. بعد دقائق قليلة من كلامه الأخير هذا، سيفي بالوعد الذي وعد به اللص التائب كما ورد في إنجيل لوقا ٢٣: ٤٣. كان سيأتي العسكر ويكسرون ساقي هذا اللص، ثم يلفظ أنفاسه الأخيرة أيضا. وتخرج روحه من جسده يلتقي بروح يسوع في المكان الذي تسكن فيه أرواح الأبرار ويفرحون بالخلاص حتى يوم القيامة.

عندما تكلم يسوع بكلامه الأخير من على الصليب، اقتبس جملة قصيرة من المزمور ٣١: ٥. ربما كتب داود هذا المزمور عندما وصف مروره بمحنة عظيمة ومؤلمة. أخذ يسوع عبارة واحدة من كلامه ورفعها إلى مستوى أعلى، وتبناها لنفسه عندما أعلن انه يسلم روحه لله. كان داود قد قال: «فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ إِلهَ الْحَقِّ». استخدم يسوع المقطع الأول فقط من هذا البيت وغير المفرد «يدك» إلى مثنى «يديك»، وجعل من هذه العبارة صلاته.

يعكس كلامه هدوء رائع: يحتوي هذا الكلام على الهدوء الذي لا يوصف به إلا من كان يدري بعناية أبيه. لقد مر بزوبعة تقديم نفسه ذبيحة من أجل خطايانا ورجع الآن إلى شركة الله. قد تلاشى الظلام وسطع الأن نور حضور الله.

وضع يسوع الساعات الست التي قضاها على الصليب بين صلاتين، قدم أحدهما في بداية تلك الساعات الست والأخرى في نهايتها. بدأت كل منهما بـ«يَا أَبَتَاهُ». واجه يسوع بين هاتين الصلاتين لله قاسى يسوع غضب جهنم والسماء. لا يستطيع أي عقل بشري أن يفهم ما احتمله خلال تلك الفترة. ربما القول أن أقسى الآلام التي اختبرها {يسوع} هي الانفصال المرعب من حضرة الآب عندما صار هو خطيئة من أجلنا، ليس هناك تعبير أقل مما تقتضيه الحقيقة. وُصِفَ هذا الألم الساحق باقتباس من مزمور مشهور: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (متى ٢٧: ٤٦؛ أنظر المَزمور ٢٢: ١). لقد استخدم هذه الكلمات ليعطي لمحة عن ما مر به. أُسْتُخْدِمَ اقتباسه من الآية الأولى من هذا المزمور كاعلان أكثر منه سؤال.

لقد رجع الآن إلى الشركة مع الله. جاءت آلامه من أجل خطايانا ومضت. بعد انهاك جسده وقواه على الأقل، أطلق روحه في يدي أبيه.

كلامه الأخير هو أيضاً رسالة الثقة والإيمان. لقد كان يعرف أبيه ويعرف أين هو ذاهب. بذلك، وضع روحه في يدي أبيه. تدل كلمة «أستودع» المستخدمة في إنجيل لوقا ٢٣: ٤٦ على ائتمان أو استئمان على النفائس. {من «وديعة». الجمع «ودائع»}.

كان يسوع في أيادي الناس - أيادي الوحوش والقساة والقتلة الذين رفضوه. صبوا عليه غضب

جهنم. قال بطرس للجمهور في يوم الخمسين: «هذَا أَخَذْتُمُوهُ ... وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ» (أعمال ٢: ٢٣). لقد فعلت أيادي الناس أسوأ ما يمكنها، وسيضع روحه الآن في يدي الله.

يدي الله لطيفتان ومع ذلك مقتدرتان؛ انهما مرنتان، ومع ذلك تمسكانا بثبات أكثر مما قد تفعل أي يدين أخريتين. إتكل عليهما يسوع لكي تحملا روحه إلى فردوس حتى يحين وقت قيامته. لقد وعد الله بأمان لشعبه قائلا: «... وَبِظِلِّ يَدِي سَتَرْتُكَ ...» (إشعياء ٥١: ١٦). لا نستطيع إلا تصور أمان الوجود «بِكَفِّهِ» (إشعياء ٤٠: ١٢).

ما زالت يدي الله تمثلان ما كانت تمثلانه آنذاك، أي أكثر مكان آمن. لا عجب أن المؤمنين وعلى مر السنين قالوا ما قاله يسوع عن كلماتهم الأخيرة.

هذا بالإضافة إلى أن كلامه الأخير يعكس إرادته وقوته الإلهيتين. لقد أعلن بذلك التعهد. أختار يسوع أن يموت. بعد ما كمل جميع ما أرسله الآب ليعمل، وبعد ما شرب كأس الآلام والحزن المرة أسلم روحه.

منح سلامه لتلاميذه وثيابه للعسكر الذين صلبوه. وأعطى مسؤولية أمه ليوحنا ومسؤولية جسده ليوسف الذي من الرامة، ولكنه أستودع روحه لله. هذه آخر الخيارات التي اتخذها على الأرض.

قدم يسوع روحه كوديعة بين يدي الله. عندما فعل هذا، نرى قوته وسيطرته المطلقتين. اقرأ ما ورد في إنجيل يوحنا ١٠: ١٨. لقد أخضع لقوة الموت بإرادته الحرة الفعالة. انه رب الحياة والموت، ويحمل كلا المفتاحين في يديه.

استخدم متى العبارة التي تدل على الموت، ولكنها تعبر أيضاً عن حرية يسوع للاختيار. قال متى: «فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ» (متى ٢٧: ٥٠). الكلمة اليونانية «افيمي ἀφίημι» التي تعني «صرف» تدل على انه صرف روحي مثلما يصرف الملك خدمه.

قال كُتَّاب الأناجيل ما يلي بما يختص بهذه اللحظة الأخيرة من حياة يسوع: «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه، في يديك أستودع روحي. ولما قال هذا أسلم الروح» (لوقا ٢٣: ٤٦)؛ «فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح» (مرقس ١٥: ٣٧)؛ «فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح» (يوحنا ١٩: ٣٠).يتضح من كل هذا أن يسوع أسلم روحه إرادياً ولم يأخذه منه أحداً.

ارتد صدى كلمات الرب الأخيرة في موت إستفانوس (أعمال ٧: ٥٩). عدل ابن الإنسان كلمات كاتب المزمور لتتناسب مع حاجته، وتبنى استفانوس كلمات ابن الإنسان لتتناسب مع حالته. توسل داود إلى الرب «إله الحق» (المزمور ٣١: ٥) أصبح هذا التوسل إلى الآب بالنسبة ليسوع. أما بالنسبة لإستفانوس فأصبح ذلك التوسل إلى الآب صلاة إلى يسوع {أعمال ٧: ٥٩ و٦٠}. لم يستطع إستفانوس أن يفعل ما فعله ابن الإنسان، أي لم يستطع أن يسلم روحه بخياره. ولكنه فعل ما بوسعه. عندما كان يُرجم تحت وابل الحجارة، طلب من الرب يسوع أن يقبل روحه. كان إستفانوس أول من ذكر كلام يسوع واستمر ينطق بهذه الصلاة عندما واجه الموت.

❖-❖-❖-❖-❖

«بقى على يسوع أن يشاء كلا هذين، متى يضع نفسه ومتى يأخذها مرة أخرى. لقد كان في كامل الوعي في المحنة الكبيرة الأخيرة، واختار أن يسلم نفسه للآب في اللحظة نفسها التي اختار أن يموت فيها[1].»

[1] مقتبس من ماكوس ل. لوان. في كتابه بعنوان، «The Place Called Calvary»، صفحة ١٢٧.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩